

فجنون.. تجربة مصرية عنوانها تحرير الخيال

التشكيلي محمد علام يعجن من الأطفال فنانيين في مختبر الثقافة والبيئة



الإبداع يخلق من النفايات لوحات

قلبي حنين للفضي، والهواء البارد يلمس ساقني شبه العاريتين تحت بنطلوني القصير، وجدنا المدرسة مغلقة، والغراش يقول بصوت جهير: بسبب المظاهرات لا دراسة اليوم أيضا. غمرتني موجة من الفرح طارت بي إلى شاطئ السعادة. ومن صميم قلبي دعوت الله أن تدوم الثورة إلى الأبد!.

تجربة فجنون بدالاتها الفنية الثقافية البيئية تكتسب كل يوم محبين من مختلف الأجيال الذين يعشقون الخيال

استمرت تجربة فجنون الأولي حتى عام 1990، وفاز منها بسبعين طفلا فنانا، ولكنها فشلت ماديا. وجاءت التجربة الجديدة في الموقع الحالي المطل على أهرام الجيزة الثلاثة الشهيرة، وأهرام أبو صير، وهم سقارة المدرج الذي يضم ست مصاطب، وهو أول بناء ججري في التاريخ وشيده الملك زوسر ثاني حكام الأسرة الثالثة (2686 - 2613 قبل الميلاد).

في الموقع الحالي، "سبيل أم هاشم"، يعمل نحو خمسين فردا بشكل دائم، كبار وصغار من أحفاد الفنان الفطري في مصر القديمة، ذلك الذي حير الموت، وأراد الانتصار عليه، فاهتدى إلى الحجارة القاسية من الديوريت والبازلت والغرانيت، وتمكن من ترويضها، وطوعها في صنع تماثيل صرحية ومسلات تقاوم الفناء.

في فجنون، قد يصادفك طفل بصحبة أحد أبويه، وكان من رواد المكان، وأسهم في صنع تماثيل، أو يذكر فجنون بأنه أهده فكرة ذات يوم، وله في هذا المكان ذكرى. وتبقى التجربة بدالاتها الفنية الثقافية البيئية تكتسب كل يوم محبين من عشاق الخيال، وهم أكثر من 250 ألف زائر سنويا، من أعمار وثقافات وجنسيات مختلفة، وبعضهم يغادر ولا يعرف أن فجنون اسمه محمد علام.

حكيم" بالجيزة مشروعا يهدف إلى استيعاب طاقات الخيال لدى الأطفال، وتطوير سلوكهم وتنمية مواهبهم، بتعليمهم الحرف الفنية (صناعة السجاد والخزف والنجارة والمعادن والطباعة وسبك المعادن)، بعيدا عن ثقل المواد التعليمية، تحت شعار "تسقط الذاكرة ويحيا الفكر".

والمذاكرة تعتمد على ما تخترته الذاكرة حتى موعد الامتحان، فتستذكره ليفرغه التلميذ من ذاكرته، ويتخلص من هذا العبء، استعدادا لعبء جديد في السنة التالية، على عكس ممارسة المهارات الفنية بروح الهواية، وشغف الاكتشاف والخلق الجميل. وهذا ما يغيب عن بيروقراطية التربويين منذ زمن، ففي "أصداء السيرة الذاتية" كتب نجيب محفوظ بعنوان "دعاء" واقعة تعود إلى ثورة 1919، "دعوت للشجيرة وأنا دون السابعة، نهبت ذات صباح إلى مدرستي الأولية محروسا بالخادمة، سرت كمن يساق إلى سجن، بيدي كراسية وفي عيني كاتبة، وفي

زوربا ربما يكون قد ألهم فجنون ما يمكن للخيال أن يصل إليه، بعيدا عن نظريات وقواعد جاءت تالية لتجليات الخيال الإنساني. في الفترة الأخيرة أقام مبنى خشبيا كبيرا متعدد الطوابق والمستويات، وبعض أقسامه يصلح أن يكون مسرحا، ولا تستطيع أن تتذكر الطريق الذي صعقت منه أو مشيت فيه قبل قليل؛ فالطريق أشبهه بالمناهة. الغريب في هذا المبنى أنه أقيم فوق سطح الأرض مباشرة دون قواعد، وتنطلق فكرته من "نظرية الاكتشاف"، أو قدرة الأشياء المتلاصقة على الطفو، فالشيء الواحد يغوص في الماء، ولا يصمد لزلزال أو ريح، وأما التجاور والتساند فيصنعان مسطحا من البنائيات المتجاورة الشبيهة بارض فضاء. ولا خوف على مسطح أرضي من التصدع.

فجنون، الذي هو محمد علام، درس الفنون الجميلة، وتخرج عام 1974 في كلية التربية الفنية بجامعة حلوان في القاهرة، وبدأ عام 1986 في قرية "كفر

جنة رعوية تتداخل فيها فروع الشجر، بما يوحي بعدم العناية. وحول بوابة واطئة، لا يعرف الداخل أنها مفتوحة أو مغلقة، تتجمع أوراق الخريف. وإلى يمين الداخل، خص معتم، تقفه شرائح الضوء، أما البواب الكهل غير منتبه، ربما ثقة منه بان الداخل يعرف طريقه.

في فصل عنوانه "زوربا"، كتب نيكوس كازانتزاكيس في سيرته "تقرير إلى جريكو" أنه "حتى لو كان الموت يجب أن نحولها إلى رقصعة". وفي شخصية فجنون شيء من زوربا، إيمان بالتجربة، ورغبة في اختبار تحويل أي شيء إلى عمل فني، من بقايا القماش والحبال والخردة وهي قطع الحديد تنهض تماثيل لعازف على العود أو طائر أو حيوان. ومن بقايا الأخشاب تماثيل أخرى ومقاعد لا يتشابه منها اثنان، وبعضها ثمرة حوار بين بقايا القماش والحديد المجدول الخالي من المسامير، إذ تعتمد على فكرة التدوير والاستفادة بأي شيء في صنع عمل فني أو استعماله.

حين يتحرر الخيال يتحرر معه العقل وتصبح الأفكار - وخاصة الفنية منها - طيعة التحقيق والتشكيل، هذا ما عمل عليه الفنان التشكيلي المصري محمد علام في مشروعه فجنون منذ ثمانينات القرن الماضي ليكون عالما يهدف إلى استيعاب طاقات الخيال لدى الأطفال، وتطوير سلوكهم وتنمية مواهبهم تحت شعار "تسقط الذاكرة ويحيا الفكر"، من خلال تعليمهم مختلف الحرف الفنية بعيدا عن الدروس والنظريات. التجربة فشلت ماديا في التسعينات من القرن الماضي لكن المشروع لم يمت، بل عاد مجددا ليجمع الصغار بالكبار الذين خبروا الفن والحياة في فجنون.

الشعبي المصري يخص السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب، وهي أيضا رئيسة الديوان، ديوان المظلومين الباحثين عن العدل. وأفضل أنواع العدل هو الحق في الخيال، ولعل هذا كان في لوعي التشكيلي المصري محمد علام، الذي لا يعنى الكثيرون بمعرفة اسمه فهو "فجنون"، حين اختار "سبيل أم هاشم" عنوانا لمشروعه الهادف إلى منح الحق في الخيال.

في بدايات التسعينات، نهبت إلى فجنون مع ابنتي سلمى، باقتراح من صديق وعد بان تستمتع سلمى بقضاء يوم طيب. وحين نقول فجنون نقصد المكان، الحالة لا الشخص الذي يمكن ألا يراه بعض الزائرين، فهو مشغول إلى درجة ألا يكون مرثيا، ويمكن أن تتوقع وجوده في عدد من المواقع في الوقت نفسه. والمواقع في المكان متعددة: للالعاب، وممارسة الرسم والنحت، وصناعة الفخار، وركوب الخيل، واستخدام خامات فنية وبيئية ومعنوية متنوعة في صناعة لوحات وتماثيل أو أي أشكال فطرية تخترج ببال الطفل. هنا لا حدود للخيال، لا قواعد أو روادع، وإنما استرشاد إذا طلب الأطفال نصيحة لإتمام ما يحاولون إنجازه.

عدت من فجنون أكثر اندهشا من ابنتي، ومضت شهور أو سنة والأمر كله يشغلي، إلى أن استلهمت تلك الروح، وكتبت في يوليو 1993 قصة قصيرة عنوانها "الداخل"، وأهديتها إلى فجنون، وفيها تخيل شابا يجد نفسه بالمصادفة قد دخل مكانا يبدو من الخارج كأنه غيط مهم. تخيلت المكان

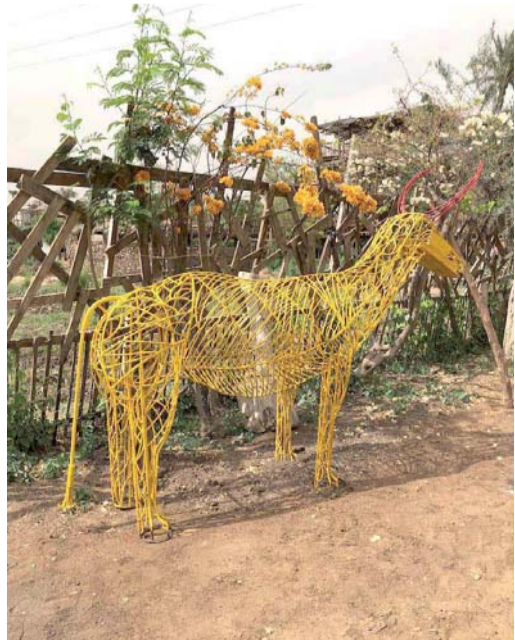
سعد القرش
روائي مصري



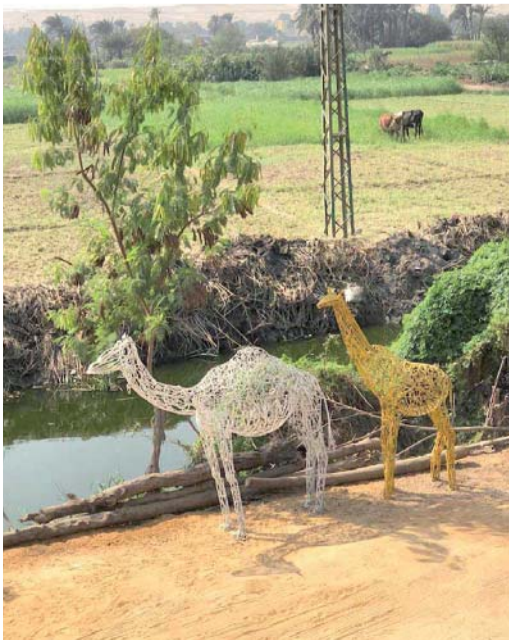
بالقرب من منطقة سقارة الأثرية جنوبي القاهرة، توجد على الطريق لافتة "سبيل أم هاشم"، والسبيل في مصر لا يعني الطريق، ولكنه وقف خيري أقرب إلى مؤسسة صغيرة كانت تشمل، في الأساس، صهريجا لتوزيع المياه مجانا على أهل الحي وأبناء السبيل، ثم الحق به كتاب لتحفيظ القرآن وتعليم قواعد الكتابة.

في "سبيل أم هاشم" يعمل نحو خمسين فردا بشكل دائم، كبار وصغار من أحفاد الفنان علام في مصر القديمة

وكانت الأسبلة بطرزا المعمارية، الباذخة أحيانا، عنوانا على المكانة الاجتماعية أو السياسية لأصحابها. وحين غزا نابليون مصر عام 1798 أحصت البعثة المرافقة لجيشه أكثر من 300 سبيل في القاهرة. وكل سبيل يحمل اسم صاحبه: سبيل عبدالرحمن كتحدا وكان من قادة المماليك البارزين، سبيل محمد علي باشا، سبيل أم عباس الذي أنشأه "بنبا قادن" أم الوالي عباس حلمي الأول. ولا يوجد في القاهرة سبيل لأم هاشم، ولقب "أم هاشم" في الوعي



الخيال يترجم الأفكار



علاقة الخيال بالواقع